

ظاهرة كراهية الإسلام: تحديات ومواجهات

د / سيد محمد كاظم خوانساري(*)

مقدمة:

ظاهرة كراهية الإسلام تشكل من دون شك تحدياً خطيراً، ذا أبعاد مختلفة يواجهها العالم الإسلامي في الزمن الراهن، والذي يتطلب تعاملاً منهجياً ومدروساً، يتصف بالحكمة والانسجام كضرورة ملحة لمواجهتها؛ وذلك بسبب الآثار السلبية الواسعة التي تتركها على حياة المسلمين.

ومما لا شك فيه أن الاهتمام بمواجهة ظاهرة كراهية الإسلام، وإدراج هذا الموضوع في جدول أعمال الدورة السنوية لمجلس مجمع الفقه الإسلامي، جاء على أساس فهم حقيقة هذه الظاهرة، وإدراك أبعاد هذا التحدي، وضرورة مواجهة آثارها السلبية.

وفي مقالتي هذا، والذي أعدته لإثراء الأدبيات والدراسات المتوفرة حول هذا الموضوع؛ ولطرحه في الدورة الثامنة عشرة لمجلس مجمع الفقه الإسلامي، سأحاول تقديم إجابة على سؤال أساسي وهو: ما هي أبعاد ظاهرة كراهية الإسلام وآثارها وسبل مواجهتها؟

وللإجابة على هذا السؤال، قدمت خلال مقالتي تعريفاً عن ظاهرة كراهية الإسلام أولاً، ثم شرحت جذورها الفكرية والتاريخية في العالم المعاصر؛ لأقدم بعد ذلك دراسة عن طبيعة هذه الظاهرة وأبعادها وآثارها المختلفة على البلدان الإسلامية والمسلمين في العالم. وسأنهى مقالتي بطرح السبل الفاعلة الكفيلة لمواجهة هذه الظاهرة، آخذاً بنظر الاعتبار دور الدول الإسلامية والمنظمات غير الحكومية ومؤسسات المجتمع المدني للمسلمين في العالم، بالإضافة إلى وسائل الإعلام، لأستخرج نتائج البحث في ختامه.

(*) سفير الجمهورية الإسلامية الإيرانية والمندوب الدائم لدى منظمة المؤتمر الإسلامي - جدة.

تعريف ظاهرة كراهية الإسلام:

قبل البدء بالحديث عن ظاهرة كراهية الإسلام، من الضروري بمكان أن نقدم تعريفاً شاملاً عنها، ورغم أنه لم يتم تقديم تعريف دقيق وشامل لظاهرة كراهية الإسلام إلى الآن، إلا أن بعض المحاولات بُذلت لطرح بعض الآراء في هذا المجال.

وعلى سبيل المثال يطرح روني مدراس ١٩٩٧م في تعريفه لهذه الظاهرة ثمانية عناصر، والتي لقيت قبولاً في العالم، وخاصة لدى المركز الأوروبي لمراقبة العنصرية ومعاداة الأجنبي، وهي كما يلي:

- ١- يتميز الإسلام كقطب موحد بالركود والجمود ومقاومته ضد أي تغيير.
- ٢- يعتبر الإسلام نسيجاً فريداً أو غريباً لا يتحمل قيمًا مشتركة مع سائر الثقافات، ولا يتأثر بها ولا يؤثر عليها.
- ٣- يصوّر الإسلام مقابل الغرب، في حالة من الدونية والوحشية وانعدام المنطق والبدائية، بل والاهتمام بالجنس.
- ٤- يُصوّر الإسلام ديناً يعتمد على العنف والعدوان وكعامل تهديد ودعم للإرهاب وإثارة الصراع بين الحضارات.
- ٥- يطرح الإسلام كأيدولوجية سياسية يتم استخدامها للأغراض السياسية والعسكرية.
- ٦- وفي هذا الإطار ترفض جميع عمليات النقد الموجهة من الجانب الإسلامي إلى الغرب من دون دراسة مضمونها.
- ٧- تاريخياً وفي الدول غير الإسلامية، يستغل الإسلام كعامل للقيام بأعمال التمييز ضد المسلمين، وفصلهم عن سائر قطاعات المجتمع.
- ٨- يعتبر العداء ضد المسلمين أمراً طبيعياً وعادياً.

وفي تعريف آخر، تعتبر ظاهرة كراهية الإسلام حالة عداء ضد الإسلام والثقافة

الإسلامية، ونظرة سلبية حاقدة، ومحاولة لإصدار أحكام مسبقة ضد كل ما ينتمي إلى الإسلام. وفي إطار هذا التعريف، تعد معاداة المسلمين -وهي ظاهرة عنصرية لمعاداة أبناء الأمة الإسلامية- أحد أشكال ظاهرة كراهية الإسلام.

وفي تعريف ثالث، نعتبر كراهية الإسلام ظاهرة لإصدار الأحكام المسبقة ضد المسلمين، وإبرازهم كأفراد لهم حالة شيطانية خبيثة عبر اتهامهم بارتكاب تصرفات سلبية عامة، كالعنف والإيذاء والاستفزاز والتمييز، ونبذهم بكلام سيء في وسائل الإعلام.

وكذلك يعتبر استفان شوارتز الأمريكي -وهو رئيس مؤسسة أبحاث عن الإسلام في الولايات المتحدة- أن كراهية الإسلام إدانة للإسلام وتاريخه ككل، باعتباره دينًا متطرفًا، ووفقًا لتعريفه يشكل الإسلام معضلة للعالم، كما يدعى أن الصراعات في المجتمعات الإسلامية ناتجة عن أفكارهم ليس إلا؛ ولذلك يتم شرعة الحرب ضد المسلمين والعمل على تغيير المعتقدات الإسلامية.

والمكتوبى يعتبر كراهية الإسلام ظاهرة عنصرية مُوجَّهة ضد الإسلام، تشمل مزيجًا من عناصر الحقد ضد الدين والتمييز الحادّ ضد أتباعه.

ويعتبر المجلس الأوروبي كراهية الإسلام حالة من الرعب أو الآراء التي تتضمن أحكامًا تم إصدارها مسبقًا بالنسبة للإسلام والمسلمين وما يتعلق بهم.

كما جاء في تقرير نُشر في السنوات الأخيرة في بريطانيا، أن كراهية الإسلام تمثل مبادرات تمييزية وعدائية وغوغائية ضد الإسلام والمسلمين.

ومن وجهة نظري، إن كراهية الإسلام تتمثل في جميع السياسات والخطط والقوانين والمبادرات، والأعمال المتعمدة الموجهة ضد الإسلام والمسلمين، على مستوى الحكومة والمجتمع والفرد، وخاصة في الغرب، والتي تحاول أن تروج لرؤى سلبية ضد الإسلام والمسلمين عبر التمييز، وإصدار الأحكام المسبقة، واتخاذ المواقف العدائية، وخاصة عبر تقديم صورة متصلبة غير إنسانية يملؤها العنف والمعاداة، ومعارضة كل أنواع التقدم عن التعاليم الإسلامية النيرة وممارسات المسلمين

وتصرفاتهم. والهدف النهائي لكل ذلك : إلقاء الرعب والخوف من الإسلام والمسلمين، وتوفير الأرضية نفسياً في المجتمعات الغربية، خاصة وسائر المجتمعات عامة، للقيام بأية مواجهة ضد الإسلام والمسلمين في العالم.

وهذا التعريف يشمل عدة عناصر أساسية وهي:

١- أنه يشمل جميع السياسات والخطط والقوانين والمبادرات والأعمال، ولا ينحصر ببعض التصرفات التي تحصل في فترة خاصة بما يتعلق بالإسلام والمسلمين.

٢- التأكيد على التعمد في تلك السياسات والخطط والقوانين والمبادرات والأعمال، وعلى هذا الأساس، تقدم ظاهرة كراهية الإسلام كخطة هادفة ومدرسة من حيث المبدأ، كما يتم اعتبار بعض الأحداث والأعمال غير المتعمدة استثناء عن الأصل.

٣- إضافة إلى ذلك، أن هذا التعريف يشمل جميع المستويات من الحكومة والمجتمع والفرد، ولا ينحصر بالسياسات الحكومية.

٤- إن السياسات والأعمال المذكورة لها منطلقات دينية تتعلق بالإسلام وأتباعه؛ لذلك فإنها تستهدف المسلمين، ليس بسبب لونهم وجنسيتهم ولغتهم فحسب، وإنما بسبب الديانة التي يعتنقونها في أغلب الأحيان.

٥- إن التمييز وإصدار الأحكام المسبقة والعداوة من أهم مظاهر هذه السياسات والأعمال وفقاً لهذا التعريف.

٦- إن الهدف الأساس من هذه السياسات والأعمال: إشاعة أفكار سلبية ضد الإسلام والمسلمين، خاصة عبر تقديم صورة عدوانية وغير إنسانية تتعارض مع التقدم والازدهار عن التعاليم الإسلامية الزاهرة وأداء المسلمين.

٧- إن الهدف النهائي لكل هذه السياسات والأعمال، هو إيجاد حالة من الرعب من الإسلام والمسلمين، وتوفير الأرضية في المجتمعات الغربية خاصة، وفي سائر المجتمعات عامة، من أجل مواجهة الإسلام والمسلمين في العالم.

وينبغي التنويه بأنه شتان بين كراهية الإسلام وعملية النقد العلمى والموضوعى، بعيداً عن اعتماد أحكام مسبقة للمعتقدات الإسلامية التى يقوم بها غير المسلمين. كما ينبغي الانتباه فى نفس الوقت إلى أن هذا الأسلوب المقبول يستغل كثيراً للتوصل إلى الأهداف الخبيثة فى إطار ظاهرة كراهية الإسلام، وخير نموذج على ذلك ما قام به المرتد سلمان رشدى من طرح اتهامات مسيئة علناً للإسلام والنبي محمد ﷺ، الذى يشكل الشخصية الرئيسة فى هذه الديانة وذلك تحت غطاء النقد العلمى.

الجدور التاريخية والفكرية لظاهرة كراهية الإسلام فى العالم المعاصر:

يمكن لنا عبر تقييم التطورات التاريخية لظاهرة كراهية الإسلام فى الغرب، أن نحدد أربع مراحل وهى: منذ البداية حتى القرن العشرين، ومنذ العقد الأول حتى الثامن من القرن العشرين، وعقد التسعينات حتى ٢٠٠١م، ومنذ ٢٠٠١م حتى الآن.

وفىما يتعلق بالأسباب والجدور التاريخية لهذه الظاهرة، يشير بعض الخبراء إلى الرسالة التى أرسلها البريطانى روجر بيكون إلى أحد آباء الكنيسة فى زمن الحروب الصليبية، يؤكد فيها على ضرورة إنهاء الحرب مشيراً إلى بدء الحروب الصليبية الثقافية فى العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامى. ويرى هؤلاء أن ظاهرة كراهية الإسلام هى استمرار لتطبيق تلك الاستراتيجية باستخدام الآليات والوسائل الحديثة. وفى نفس الوقت، يعتقد هؤلاء أن ظاهرة كراهية الإسلام ارتفعت وتيرتها فى النصف الثانى من القرن العشرين وخاصة فى نهاية هذا القرن، والسنين الأولى من القرن الحادى والعشرين.

والبعض يعتقد أن الأوروبيين كانوا دائماً بصدد تصفية مجتمعاتهم، وإخلائها من الآخرين والأجانب؛ ولذلك نشاهد اليوم تحديد الحريات الأساسية، والإعلام المضاد ضد المسلمين، واعتبارهم متآمرين وذلك لأجل تخويف الأوروبيين.

ومهما كان الأمر يمكن القول من خلال دراسة تاريخية بأن ظاهرة كراهية الإسلام فى الغرب وخاصة أوروبا لها جذورها وتجاربها التاريخية، إذ كانت الحرب

الصليبية الثقافية من استراتيجياتهم فى الصراع ضد الإسلام والمسلمين فى الفترات التاريخية المختلفة، ولقد استمرت الظاهرة خلال القرن العشرين إثر تصاعد نضال الشعوب الإسلامية المختلفة ضد المستعمرين الأوروبيين من جهة، والاضطهاد التاريخى للمسلمين من قبل أوروبا وأمريكا، خاصة فى زرع غدة إسرائيل السرطانية فى قلب العالم الإسلامى، واحتلال أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين من جهة ثانية. ونظراً لكثرة استخدام الغرب لوسائل الإعلام فى تطبيق سياساته ومبادراته ضد المسلمين، فإن الغربيين حاولوا دائماً بأشكال مختلفة خلال الفترة المذكورة أن يقدموا صور متخلفة عن المجتمعات الإسلامية فى نقلهم للأخبار المتعلقة بالمسلمين، ويطرحوا صورة عنيفة غير إنسانية وبالية عن التعاليم الإسلامية، مما أدى -بعد مضى فترة من الزمن وبشكل تدريجى- إلى تكوين مواقف سلبية متجذرة ضد المسلمين.

وحول الأسباب والجذور التاريخية لظاهرة كراهية الإسلام، يرى السيد كوفى أنان، الأمين العام السابق للأمم المتحدة أن هذه الظاهرة لها تاريخ يمتد عبر القرون، رغم أن مصطلح كراهية الإسلام طُرِحَ خلال الثمانينات والتسعينات من القرن الماضى، إذ أدرك الكثير من المسلمين اليوم أنهم كانوا قد تعرضوا دائماً، وعلى مدى التاريخ، لأنواع الظلم والاضطهاد والاعتداء والاستعمار المباشر وغير المباشر وخرق حقوقهم، مشيراً إلى بعض الحالات كالقضية الفلسطينية وقتل المسلمين وإبادتهم خلال عملية تقسيم يوغوسلافيا معتبراً إياها مصاديق للتعامل الغربى غير العادل ضد المسلمين.

وتتضمن تصريحات السيد كوفى أنان -التي ذكرنا قسماً منها- إشارة إلى أنه يعتقد بأن جذور كراهية الإسلام ينبغى البحث عنها فى الظلم التاريخى للغرب ضد المسلمين، ثم فى النظرة السلبية للمسلمين بالنسبة للغرب، وبعد ذلك أعمال العنف لبعض المسلمين المتطرفين ضد الغرب، وبالمقابل الجهود الغربية لمواجهة الإسلام والمسلمين.

ولهذه النظرية مؤيدوها، إذ يؤمن البعض -على سبيل المثال- أن هذه الظاهرة كانت من ثمار السياسات المتحيزة والظالمة واللامتوازنة لأمريكا والغرب، فيما يتعلق بقضية فلسطين والشرق الأوسط، كما في الدعايات المكثفة لوسائل الإعلام الغربية ضد المسلمين، واستغلال الغرب لشرعية مكافحة الإرهاب لتمرير أهدافه، وهذا ما شهدناه خلال العقود الأخيرة على الأقل. ومن المفيد في هذا المجال الانتباه إلى آراء المشاركين في إحدى الندوات السنوية، التي نقيمها مؤسسة الشرق الأوسط في أمريكا، إذ يعتقد هؤلاء أن المبادرات الأمريكية التي تتم تحت شعار مكافحة الإرهاب، قد ولدت شعوراً بأنها حرب ضد الإسلام؛ لأن البعض أخذ يقدم صورة عن الإسلام تطرح هذا الدين العظيم كمصدر للإرهاب.

وربما يمكن اعتبار نظرية صموئيل هنتنجتون (١٩٩٣م) في مجال صراع الحضارات عاملاً أساسياً، ومنعطفًا مهما في ظاهرة كراهية الإسلام في العصر الحديث. ففي رده على تساؤل حول إمكانية أن يفسر انتهاء الحرب الباردة كنهاية للصراعات السياسية والاستراتيجية والأيدولوجية، يقول هنتنجتون: "إن خطوط التصدع الموجودة بين الحضارات قد حلت محل الحدود السياسية والأيدولوجية في فترة الحرب الباردة، وسوف تستبدل المواجهة بين الدول القومية بالصراع بين الحضارات، مُركّزاً بشكل أساسي على الخلافات الثقافية والحضارية، ومُشيراً إلى الانبعاث الحضاري والإحياء الديني". ثم يتنبأ هنتنجتون أن أول مواجهة محتملة بين الحضارات ستكون بين الحضارتين الإسلامية والغربية، مشيراً إلى العداء المستمر بين الإسلام والغرب خلال أربعة عشر قرناً، والتوتر المتصاعد بين الحضارتين.

ورغم أن السيد محمد خاتمي، رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية السابق المحترم، رفض حتمية وقوع الصراع بين الحضارات، وذلك في مبادرة حكيمة ودقيقة أطلقها عام ١٩٩٨م، وطرح -مشيراً إلى المسيرة التكاملية لتاريخ البشرية- ضرورة الارتباط والتعامل على أساس الفكر والتفاهم وحوار الحضارات، كحل وحيد لإزالة المخاوف ومواجهة التحديات في عالمنا المعاصر، ورغم تبني مشروعه عام ٢٠٠١ من

قَبْلَ الأمم المتحدة، لكن ما حصل بعد ذلك من تطورات وأحداث في إطار ظاهرة كراهية الإسلام في الغرب، أثبت أن الغرب يريد من وراء استمرار هذه الظاهرة تقديم صورة العدو الشرس عن العالم الإسلامي؛ ليضع الحضارة الإسلامية في مكانة المعسكر الشرقي في فترة الحرب الباردة. وما قاله الرئيس الأمريكي في إحدى خطباته بعد أحداث ١١ سبتمبر حول الحرب الصليبية، بالإضافة إلى تصريح برلسكوني رئيس الوزراء الإيطالي آنذاك حول "أن الغرب سيتغلب على المسلمين الذين لا يحترمون الحقوق الإنسانية والدينية والسياسية للأشخاص -وفق تعبيره- كما انتصر على الشيوعية"، كل ذلك يعكس بأفضل شكل ممكن الآراء والنوايا الحقيقية للساسة الغربيين حول الإسلام والمسلمين. وينبغي هنا إضافة بعض التصريحات المماثلة الأخرى في أحاديث القادة الغربيين، كاستخدام عبارة "الفاشية الإسلامية" بواسطة جورج بوش.

وفي هذا الإطار أيضاً، لا بد أن نشير إلى التصعيد المتزايد في محاولات وسائل الإعلام الأوروبية والكندية لتشويه صورة الإسلام والمسلمين في الفترات الأخيرة، وخاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر. كما تشير التقارير إلى ازدياد أعمال العنف ضد المجتمعات الإسلامية في هذه الدول خلال الفترة المذكورة، إلى جانب المبادرات المتعددة على مستوى الحكومات الفيدرالية والمحلية؛ لتحديد الحقوق والحريات الاجتماعية والدينية لأبناء الجاليات المسلمة، المقيمين في هذه الدول، وخاصة في فرنسا وألمانيا.

إن قراءة المبادرات والخطوات التي اتخذها الغرب -وخاصة أوروبا- في هذا المجال، خلال السنوات الأخيرة، انطلاقاً من كيفية التعاطي مع موضوع انتشار الرسوم المسيئة لنبي الإسلام الأكرم ﷺ في صحيفة يولندبستن الدانمركية، ومروراً بوضع قوانين لتحديد حقوق المسلمين وحررياتهم الأساسية، وخاصة في مجال الحريات الدينية في بعض الدول الأوروبية، وانتهاء بتصويت جميع دول الاتحاد الأوروبي ضد القرار المقترح من منظمة المؤتمر الإسلامي حول منع الإساءة إلى الأديان في الدورة

الواحدة والستين للجمعية العامة للأمم المتحدة عام ٢٠٠١م، كل ذلك يدل على وجود سياسة وخطّة محددة لدى الغرب في هذا المجال. كما يدل على أن دول الاتحاد الأوروبي تقف بين المجتمعات الغربية في الخط الأول لكراهية الإسلام.

ظاهرة كراهية الإسلام، طبيعتها، أبعادها، وآثارها؛

فيما يخص طبيعة هذه الظاهرة في العالم المعاصر، يرى بعض علماء الاجتماع أن التقييم والتمييز على أساس الدين حل محل التقييم والتمييز على أساس العنصر في العقود الأخيرة، ونتيجة لذلك، يُعد المسلمون -خاصة في الدول الأوروبية- غرباء، أو آخرين لا تختلف ثقافتهم عن الثقافة الأوروبية فحسب، بل وتعارض معها. ورغم ذلك، فإن دراسة الأبعاد المختلفة لظاهرة كراهية الإسلام توصلنا إلى حقيقة وهي: أن هذه الظاهرة لها في الأساس طابع سياسي وثقافي عدواني هادف يتصف بالتعمد، وهو ذو أبعاد وآثار عديدة لا يمكن حصرها في بعض التصرفات التي تحصل هنا وهناك، على أساس التمييز الديني وإصدار الأحكام المغرضة حول دين ما، أو اتباع ذلك الدين؛ لذلك لا بد قبل القيام بأية مبادرة في سبيل التصدي لهذه الظاهرة أن تؤخذ بنظر الاعتبار طبيعتها وآثارها السياسية -الأمنية والثقافية- والاجتماعية.

ويبدو أن أول وأهم آثار هذه الظاهرة هو توفير الأرضية الملائمة في الغرب؛ لاستعداد الدين الإسلامي وأتباعه، مما سيرك -لا محالة وبالضرورة- آثاره على العالم الإسلامي، وبالأحرى سيؤدي هذا التوجه إلى زيادة الحقد والاستياء بين الجانبين، دون أن يريد ذلك، وهما: الإسلام الذي يبحث عن السلام والمسلمين الذين لا ينصبون العداء ولا يريدون محاربة أحد، ويريدون السعادة والتعايش مع جميع أبناء البشر من جهة، والشعوب الغربية التي لا علم لها بالسياسات المُخطّط لها من قبل قادتها وبمكائيد وسائل إعلام بلدانها، لتستمر بالنتيجة حالة التشكيك في النظر إلى تصرفات كل من الطرفين وأعمالهما ونواياهما. وهذا ما يُخطط له الساسة في

الغرب: إرغاب الشعوب الغربية وتخويفهم من الإسلام ومن ثم من المسلمين، وتوفير الأرضية نفسياً في المجتمعات الغربية خاصة، وفي سائر المجتمعات عامة؛ للقيام بأية مواجهة للإسلام والمسلمين في العالم.

ويبدو في ظل هذه الظروف أن الغرب سيكون قادراً على ممارسة أى ظلم أو اضطهاد ضد المسلمين بكل سهولة في المستقبل، بذريعة أنهم منافسون وأعداء خطرون سياسياً، بالإضافة إلى ذلك، سيتمكن الغرب من تطبيق هذه المبادرات دون معارضة جادة من الشعوب الغربية في ظل هذه الظروف. إن هذه المبادرات ستكون لها أبعاد واسعة لتشمل حالات كثيرة، منها: سد الطريق أمام إمكانية اعتناق الإسلام بين مواطني هذه الدول، والتي أخذت ترتفع حالاتها السياسية ضد المواطنين المسلمين والجاليات المسلمة في تلك الدول، وممارسة شتى أنواع الضغوط، ووضع العوائق السياسية والاقتصادية، والقيام -في أسوأ الحالات- باعتداءات ضد البلدان الإسلامية؛ وذلك في سبيل حماية مصالح المعسكر الغربي.

كما أن رؤية شاملة لبعض المبادرات، التي قامت بها الدول الغربية في مجالات مختلفة، كتغيير قوانين الهجرة والعمل والإقامة، تدل على حقيقة وهي أن الغرب سيستمر في محاولاته للسيطرة على حركة الإيمان بالإسلام، بالإضافة إلى تحديد حقوق المواطنين المسلمين فيما إذا استمرت هذه الظروف، وسيقوم بشكل جاد بمنع استقبال المهاجرين والعمال والطلبة وسائر المجموعات المسلمة في أوروبا، وإقامة المسلمين من غير الأوروبيين لفترات طويلة/ متوسطة المدى في تلك المجتمعات، وعلى أية حال، فإنه من المؤكد أن أحد الأهداف الأساسية للغرب في هذا الإطار، هو السيطرة الجادة على النمو السكاني للمسلمين، وتقليل تواجدهم ونفوذهم في المجتمعات الغربية.

ومن جهة أخرى، ينبغي الانتباه إلى أن استمرار هذه الظاهرة أو تصعيدها على المدى البعيد، من شأنه -تدريجياً وبالضرورة- أن يؤجج حالة المعاداة للغرب في

العالم الإسلامي، ويؤسس لحالة متبادلة من الحقد والنفور في إصدار أحكام مسبقة بين كل من الشعوب الغربية والمسلمين، مما سيكون له - لا محالة - أبعاد ونتائج خطيرة للطرفين؛ لذلك يبدو أن التصدى لهذه الظاهرة على المستوى القريب والبعيد، سيؤثر من مصالح المسلمين، وفي نفس الوقت، يبدو أن التصدى لهذه الظاهرة والوقوف أمام تصعيدها وتحولها إلى صراع بين الحضارات، سيكون له على المدى البعيد صالح العالم الغربي أيضاً، وإن كان على المدى القريب لا يصب في صالح الغربيين وفق رأى البعض منهم، الأمر الذي أخذ بعض العقلاء في الغرب يؤيدونه مؤخراً.

سبل التصدى لظاهرة كراهية الإسلام:

لا شك في أن هذه الظاهرة ينبغي تقييمها كجزء من السياسات الغربية الشاملة، في مواجهة الإسلام والمسلمين والدول الإسلامية؛ ولذا يجب اتخاذ السبل الكفيلة للتصدي لها. كما ينبغي أن تتم عملية التصدى لهذه الظاهرة بعد القيام بتقييم دقيق لأبعادها المختلفة، والتهديدات الناتجة عنها، والتخطيط الشامل والواقعي، الذي يتم وفق المبادئ العلمية، باستخدام جميع الإمكانيات والآليات المتوفرة لدى المسلمين في العالم؛ وذلك من أجل إشراك واسع ومؤثر لكل مؤسسات المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية، والأفراد من المسلمين في أنحاء العالم كافة، كل حسب قدراته وجنباً إلى جنب مع الحكومات والمنظمات الإسلامية الفوقومية.

وبالنسبة للآليات وأساليب التصدى لظاهرة كراهية الإسلام، ينبغي القول بأن القيام بمبادرات متنوعة في المجالات السياسية والثقافية والعلمية والفكرية والقانونية في آن واحد، يبدو أمراً ضرورياً، بالإضافة إلى ذلك، يجب استخدام جميع الوسائل، وخاصة وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية والإلكترونية، واستثمار جميع الفرص خاصة في المحافل ومراكز القرار الإقليمية والدولية.

كما ينبغي الانتباه - في نفس الوقت - إلى أن أية مبادرة في هذا الإطار، لا بد أن تقوم بها على أساس فهم مشترك بين الحكومات الإسلامية وجميع أبناء الأمة

الإسلامية لحقيقة أن ظاهرة كراهية الإسلام ظاهرة خطيرة جداً، تعمّ أبعادها وآثارها الأمة الإسلامية كاملة، شئنا أم أبينا؛ ولذلك ينبغي الاهتمام الجاد بالتصدي لهذه الظاهرة، إذ على الأمة الإسلامية أن تنهض موحدة صفوفها للقيام بأعباء هذه المهمة.

وبناء على ذلك، ينبغي أن لا يتجاهل أى منا المصالح العامة والمشاركة للمسلمين، ولدار الإسلام فى عملية التصدي لهذه الظاهرة، ناهيك عن أن المسلمين يجب أن يمتنعوا عن أية مبادرة تمهد لسلطة غير المسلمين عليهم، وفقاً لقاعدة: نفى السبيل، وعلى البلدان الإسلامية أيضاً أن تعتبر أمن كل منها - وخاصة فى مجال الأمن الثقافى - أمن الجميع، وتؤكد على أن التهديدات المحدقة بأية دولة إسلامية ستكون تهديداً لها ولجميع الدول الإسلامية، وتستعد بالنتيجة لتصد جماعى لهذه الظاهرة. فلو أدركنا أن الغرب بصدد تغيير ثقافة شعوبنا الإسلامية وتوحيدها ودمجها بالثقافة والقيم الغربية، إلى جانب ظاهرة كراهية الإسلام التى تمثل بدورها هجمة ثقافية شاملة ضد أمتنا الإسلامية.. لو أدركنا ذلك ستؤكد أكثر من دى قبل على ضرورة التعاون الجماعى بين الدول الإسلامية؛ لإزالة وصد كل ما يمهد لسيطرة غير المسلمين عليهم، أو للتهديدات والتحديات والتحرش بمعتقداتنا وثقافتنا وأمن مجتمعاتنا وبلداننا الإسلامية.

إن ما يحظى بأهمية قصوى فى هذا المجال، هو: ضرورة اهتمام الأمة الإسلامية فى علاقاتها الثقافية والدينية بتقوية وتنمية العلاقات بمختلف بلدان دار الإسلام كأهم المعايير؛ ولذلك وفى نفس الإطار، سيكون تحديد الأولويات والاهتمام ببذل الجهود للتوصل إلى الوحدة بين الفرق الإسلامية المتعددة، فى إطار تحقيق مفهوم "الأمة الإسلامية الواحدة" عملياً وميدانياً، وإعادة تنظيم عملية الاجتهاد القيمية؛ لتقديم إجابات على المستجدات أو المسائل المستحدثة - وفق المصطلح الفقهي -، وإزالة الشبهات والشكوك السقيمة، وإعطاء تفسير قويم عن أحكام الإسلام النيرة المتقدمة، وإبراز السلوك البين فى الاعتدال الإسلامى، والحيلولة دون وقوع المسلمين فى فخ المتصلبين أو أذعياء التنوير، سيكون ذلك كله من أهم الضرورات التى لا يمكن التخلّى عنها.

كما أن إقامة العلاقات الثقافية والدينية مع أتباع سائر الأديان والثقافات، في إطار السبل والآليات التي أوصت بها تعاليمنا الدينية، ومنها: التأكيد على التفاهم حول المشتركات، والجدال بالتي هي أحسن، وتآليف القلوب، والسعى لتعريف الآخر بالمعارف الإسلامية الصافية، وإبراز الصورة الحقيقية للإسلام، وتعزيز التفاهم المشترك بين الطرفين، له كله أهمية خاصة في هذا المجال.

وعموماً ومع الأخذ بنظر الاعتبار ما سلف ذكره، لابد من التأكيد على أن الهدف القريب من كل ذلك هو السعى والتخطيط لإيقاف تنامي ظاهرة كراهية الإسلام المتصاعدة، والهدف المتوسط هو التخفيف المؤثر من آثار الظاهرة المذكورة في العالم، والهدف النهائي والبعيد هو إزالة جميع المصاديق والتمهيدات، التي تؤسس لظاهرة كراهية الإسلام. ويبدو أيضاً أن المبادرات التالية -بغض النظر عن أولوياتها- ينبغي أن تدرس وتتخذ بنظر الاعتبار في خطة التصدي لهذه الظاهرة على المديات القصيرة والمتوسطة والبعيدة:

١ - تعزيز الإرادة السياسية المشتركة بين الدول الإسلامية؛ للتصدي لظاهرة كراهية الإسلام، والذي تم المصادقة والتأكيد عليه في ثالث اجتماع طارئ للقمة الإسلامية المنعقد في عام ٢٠٠٥ بمكة المكرمة.

٢ - وضع استراتيجية على نطاق العالم الإسلامي؛ للتصدي لظاهرة كراهية الإسلام.

٣ - تأسيس مركز للدراسات في البلدان الإسلامية حول ظاهرة كراهية الإسلام؛ بغية التقييم الشامل لجميع أبعادها وتفاصيلها، ودعم عملية التصدي لها.

٤ - عقد ندوات علمية منتظمة ودورية على الصعد الوطنية والإقليمية والدولية، وذلك في الدول الإسلامية وفي مختلف أنحاء العالم؛ لدراسة أبعاد هذه الظاهرة وآثارها وسبل مواجهتها، والعمل على نشر نتائج هذه الدراسات والندوات على نطاق واسع.

٥ - التخطيط لدعم الآليات المتوفرة لتقديم المشورة، والتنسيق بين الحكومات

والمنظمات الإسلامية، واستخدامها الأفضل في سبيل التصدي لظاهرة كراهية الإسلام، كتفعيل اللجنة التنفيذية لمنظمة المؤتمر الإسلامي في هذا المجال، ودعم نشاطات مجموعة سفراء الدول الإسلامية في كل من نيويورك وجنيف وباريس وفيينا وبروكسل.

٦- التخطيط لإيجاد آليات حديثة للتشاور والتنسيق بين الدول الإسلامية في هذا المجال، كاستحداث آلية للتنسيق السريع بين المؤسسات الدينية في الدول الإسلامية؛ بهدف اتخاذ موقف موضوعي موحد عند الضرورة.

٧- إيجاد آلية للتشاور والتنسيق بين جميع المنظمات غير الحكومية للمسلمين في أنحاء العالم كافة؛ بهدف التصدي الفاعل لهذه الظاهرة، والعمل -على سبيل المثال- على جمع المعلومات وإقامة الندوات وإبراز ردود الفعل عند اللزوم، واتخاذ سائر الخطوات الممكنة.

٨- تقديم الدعم الكامل لمركز ظاهرة كراهية الإسلام التابع لأمانة المؤتمر الإسلامي.

٩- بذل الجهود لممارسة رقابة شاملة من قبل البلدان الإسلامية والمنظمات الدولية والإقليمية، الحكومية وغير الحكومية، ومؤسسات المجتمع المدني للمسلمين في أنحاء العالم كافة، وتزويد منظمة المؤتمر الإسلامي بالمعلومات الشاملة والموثقة حول الموضوع.

١٠- وضع خطط من قبَل منظمة المؤتمر الإسلامي؛ لنشر تقرير سنوي وفقًا للمعلومات التي تصلها عن آخر التطورات، المتعلقة بظاهرة كراهية الإسلام في العالم.

١١- التخطيط للتنسيق والتشاور الضروري؛ لإبراز ردود فعل مبدئية موحدة في الوقت المناسب من قِبَل البلدان الإسلامية والمسلمين قبال كل خطوة ملحوظة تتخذ، في إطار ظاهرة كراهية الإسلام في العالم، وتقنين جميع ردود الفعل الجماهيرية والشعبية حتى الوصول إلى النتيجة المرجوة.

١٢- العمل الجاد والفاعل من قبل الدول الإسلامية؛ لاستصدار قرار بمنع الإساءة للأديان وظاهرة كراهية الإسلام في الاجتماعات السنوية والدورية للمنظمات والمحافل الدولية ذات الصلة، كالجمعية العامة، ولجنة حقوق الإنسان في الأمم المتحدة ومنظمة اليونسكو.

١٣- وضع خطط من قبل منظمة المؤتمر الإسلامي؛ لإقامة علاقات واسعة ومنسقة مع المؤسسات الشهيرة المعترف بها للمسلمين في الدول غير الإسلامية؛ لتوظيف طاقاتها وإمكاناتها في هذا المجال، وخاصة في رصد جميع الأحداث التي ترتبط بظاهرة كراهية الإسلام.

١٤- العمل على إجراء حوار مستمر في هذا المجال مع المنظمات الدولية، وخاصة المؤسسات والآليات الأوروبية؛ لطرح المخاوف الموجودة في هذا الإطار، والتذكير بالأبعاد المدمرة لهذه الظاهرة، وآثارها على العلاقات بين الحضارتين الإسلامية والغربية، والتأكيد على ضرورة التعاون المتبادل للتصدي لها.

١٥- السعي لإدراج هذا الموضوع في جدول أعمال الاجتماعات المشتركة لمنظمة المؤتمر الإسلامي مع سائر المنظمات الدولية، كالأمم المتحدة.

١٦- العمل على إيجاد ارتباط مستمر وفعال مع المقررين الخاصين للآليات الإقليمية والدولية لحقوق الإنسان، كالمقررين في مجال الحريات الدينية، وظاهرة كراهية الإسلام، والعنصرية والتمييز العنصري؛ لجلب انتباههم أكثر فأكثر بالنسبة للأبعاد المتعددة لهذه الظاهرة، لإبرازها وتقديم تقارير مناسبة عنها.

١٧- الاهتمام بالجهود المشتركة بين الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي؛ لتوقيع وثيقة دولية ملزمة لمنع الإساءة للأديان.

١٨- قيام الدول الإسلامية بالتخطيط لإعداد وإقرار وثيقة قانونية دولية تخص إزالة التمييز على أساس الدين.

- ١٩- القيام بعمل مشترك بين الدول الإسلامية، في إطار منظمة المؤتمر الإسلامي؛ لإقناع الدول الغربية للمصادقة على قوانين داخلية (وطنية) لمنع الإساءة للأديان، وكذلك منع التمييز على أساس الدين، وللتصدي لهذه الظاهرة.
- ٢٠- التأكيد -في آن واحد- على حق حرية التعبير من جهة، ومسئولية الحكومات والمنظمات الدولية والوطنية والأفراد في استخدام هذا الحق لاتخاذ موقف مشترك في مواجهة حالات الإساءة للقيم والمقدسات الإسلامية من جهة أخرى، والعمل على تحويل هذه المسئولية إلى مبدأ من المبادئ الدولية المُعترف بها، وإدخاله في الأدبيات والوثائق الدولية ذات الصلة.
- ٢١- التوظيف التام والكامل لجميع الطاقات المتوفرة لدى المؤسسات والآليات التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي، عبر إقامة اجتماعات سنوية مشتركة للمؤسسات ذات الصلة والتابعة للمنظمة؛ لدراسة آخر التطورات في ظاهرة كراهية الإسلام، وتنسيق الخطوات والفعاليات الخاصة بها في مجال التصدي لهذه الظاهرة.
- ٢٢- اتخاذ خطوات أكثر فاعلية من قبل مجمع الفقه الإسلامي؛ لمعالجة هذا الوضع، ومنها: تنمية التعاون بين المؤسسات الدينية في العالم الإسلامي، للتصدي لظاهرة كراهية الإسلام.
- ٢٣- ضرورة الاهتمام الخاص بهذه الظاهرة وأبعادها المختلفة، من قبل آليات إيصال المعلومات في منظمة المؤتمر الإسلامي، كالوكالة الإسلامية الدولية (إينا) ومنظمة الإذاعات للدول الإسلامية (إيسبو)، والعمل على توعية الشعوب بمختلف قضايا وأبعاد هذه الظاهرة.
- ٢٤- العمل على نشر نصوص الأبحاث النظرية حول الموضوع، بواسطة المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، ومركز أبحاث التاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (إرسىكا).
- ٢٥- إعطاء القروض والمنح المالية بواسطة البنك الإسلامي للتنمية لبعض المؤسسات

الرسمية التابعة للمسلمين؛ لتفعيل طاقاتها، بغية مراقبة ظاهرة كراهية الإسلام في الدول غير الإسلامية، ورفع تقارير دورية عنها.

٢٦- إدراج موضوع التصدي لظاهرة كراهية الإسلام كأحد البنود الثابتة في جدول أعمال الدورات العادية للمؤتمرات الإسلامية، على مستوى القمة ووزراء الخارجية.

٢٧- وضع الخطط اللازمة من أجل التنسيق بين وسائل الإعلام للدول الإسلامية، والمسلمين في جميع أنحاء العالم؛ للنهوض بأداء دور فاعل في هذا المجال.

٢٨- العمل على توظيف كافة الوسائل المقروءة والمسموعة والمرئية والإلكترونية في التصدي لهذه الظاهرة.

٢٩- القيام بحركة واسعة في نشر المعلومات عن الإسلام والمسلمين باللغات الغربية وخاصة عبر الإنترنت والفضائيات.

٣٠- التخطيط لشرح المبادئ والمعتقدات والأحكام الإسلامية بأسلوب علمي، وقابل للفهم للمواطن الغربي؛ لتصحيح صورة الإسلام عنده.

خاتمة البحث والنتيجة:

إن ظاهرة كراهية الإسلام، والتي تشمل جميع الأفعال والتصرفات المتعمدة لإشاعة أفكار سلبية حول الإسلام والمسلمين، تعد من دون شك تحدّ خطير ومتعدد الأبعاد للعالم الإسلامى فى الوقت الحاضر؛ ولذلك فإن التصدى لها بالحكمة، وتوحيد المواقف، يعد ضرورة ملحة لا يمكن تجاهلها؛ نظراً للآثار السلبية الواسعة التى تتركها هذه الظاهرة على حياة المسلمين.

وعبر دراسة التطورات التاريخية لظاهرة كراهية الإسلام فى الغرب، يتضح استمرار هذه الظاهرة خلال القرون الماضية، إذ يعبر البعض عنها بالحروب الصليبية الثقافية، لكنه ورغم ذلك نلاحظ أن ظاهرة كراهية الإسلام ارتفعت ونيرتها بشكل تصاعدى فى النصف الثانى من القرن العشرين، وخاصة فى نهايته، وفى العقد الأول من القرن الواحد والعشرين، وهذا ينذر بوجود علائم لأبعاد خطيرة من ظاهرة كراهية الإسلام فى التاريخ المعاصر.

وبالنسبة لخصائص هذه الظاهرة فى العالم المعاصر، يرى علماء الاجتماع أن التقييم والتمييز على أساس الدين قد حل محل التمييز العنصرى فى العقود الأخيرة، لكن ظاهرة كراهية الإسلام تتميز أساساً بطابعها السياسى والثقافى العدائى الهادف والمتعمد، ومن أول نتائجها ازدياد الحالة المتبادلة من الحقد والبغضاء، وإصدار الأحكام المسبقة بين الشعوب الغربية والمسلمين.

لذلك لا بد من التصدى لهذه الظاهرة، التى يجب لحاظها فى إطار السياسات الغربية العامة، وهذه العملية لا تتم إلا بتوظيف جميع الإمكانيات والآليات المتوفرة لدى المسلمين فى أنحاء العالم كافة؛ ليتسنى إشراك جميع مؤسسات المجتمع المدنية والمنظمات غير الحكومية، والأشخاص المسلمين فى أنحاء المعمورة، فى هذه العملية بشكل فاعل وكل حسب إمكانياته وطاقاته، وجنباً إلى جنب مع الحكومات والمنظمات الإسلامية الدولية.

ويبدو أن القيام بخطوات متعددة في المجالات السياسية والثقافية والعلمية والفكرية والقانونية، من الأمور الضرورية في هذا الإطار، بالإضافة إلى ذلك، ينبغي استخدام جميع الآليات وخاصة وسائل الإعلام بأشكالها، واستثمار كل الفرص وخاصة في المحافل ومراكز القرار الإقليمية والدولية؛ للحيلولة دون التصعيد المتزايد لظاهرة كراهية الإسلام، وتخفيف وتيرتها، وإزالة جميع مصاديقها والعوامل الممهدة لها في النهاية.

وفي هذا الإطار، ينبغي الاهتمام باتخاذ بعض الخطوات، ومنها: إعداد استراتيجية التصدي لهذه الظاهرة، وعقد ندوات علمية لدراسة أبعادها وآثارها وسبل مواجهتها، ووضع الآليات للتشاور والتنسيق بين جميع المنظمات غير الحكومية للمسلمين في أنحاء العالم كافة، من أجل التعاطي الجاد مع هذه القضية، وتقديم أكبر دعم ممكن لمركز ظاهرة كراهية الإسلام التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، والعمل الإسلامي المشترك لإبرام وثيقة دولية قانونية؛ لإزالة التمييز على أساس الدين، وتفعيل نشاطات مجمع الفقه الإسلامي في هذا المجال، والتأكيد في آن واحد على حق حرية التعبير، ومسؤولية الحكومات والمنظمات الدولية والوطنية والأشخاص عند استخدامهم هذا الحق، وضرورة اتخاذهم موقفاً موحداً في التصدي لحالات الإساءة للقيم والمقدسات الإسلامية، وإيجاد التنسيق بين وسائل الإعلام للدول الإسلامية والمسلمين في أنحاء العالم كافة؛ للتخطيط لأداء دور أكثر فاعلية في هذا المجال، والعمل على استخدام كل الوسائل المقروءة والمسموعة والمرئية والإلكترونية في مواجهة هذه الظاهرة، والنشر الأوسع للمعلومات حول الإسلام والمسلمين باللغات الغربية؛ لبيان المبادئ والمعتقدات والأحكام الإسلامية، بأسلوب علمي بحث وقابل للفهم عند المواطن الغربي.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

